

التقديم والتأخير فى الجملة الخبرية

دراسة أسلوبية

" سورة البقرة نموذجاً "

دكتور ربيع محمد عبد العزيز

أستاذ النقد والبلاغة والأدب المقارن

كلية دار العلوم - جامعة الفيوم

كلية التربية - جامعة الملك فيصل بالأحساء

سبق نشره فى مجلة كلية دار العلوم - جامعة الفيوم

عام ٢٠٠٤م

## التقديم والتأخير فى الجملة الخبرية

### دراسة أسلوبية

### " سورة البقرة نموذجاً "

دكتور ربيع محمد عبد العزيز

أستاذ النقد والبلاغة والأدب المقارن

كلية دار العلوم - جامعة الفيوم

### تمهيد :

أولى علماء العرب فى التقديم<sup>(١)</sup> ، والدارسون المحدثون<sup>(٢)</sup> ، مبحث التقديم والتأخير ، من الاهتمام ما يشف عن وعيهم بما يضيفه على المعنى من دقة ، وعلى العبارة من حسن ، وعلى التلقى من لذة .

وكانت المهاد الأولى ملاحظات سجلها الرواد الأوائل بهدف " تأكيد مثالية العبارة من زاوية نحوية فى المقام الأول ، بالكشف عن المواضيع التى كان حقها التقديم وتلك التى

### ١- انظر :

- عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ص ١٠٦ : ١٤٥ ، تحقيق : محمود شاكر ، ط : المدنى ، القاهرة ، د-ت .
- ابن الأثير ، المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر ٢ / ٢١٠ : ٢٢٧ ، تحقيق : د. أحمد الحوفى ، د. بدوى طبانة ، ط: نهضة مصر ، القاهرة ، د-ت .
- الطوفى ، الأكسير فى علم التفسير ، ص ١٥٤ : ١٦٩ ، تحقيق : د. عبد القادر حسين ، ط: مكتبة الآداب ، القاهرة ، د-ت .

### ٢- انظر :

- د. محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية قراءة أخرى ، ص ٢٣٥ : ٢٦٠ ، ط : الأولى ، لونجمان ، القاهرة ، ١٩٩٧ م .
- د. محمد أبو موسى ، دلالات التراكيب ، ص ١٧٠ : ١٨٤ ، ط : الثانية ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م .
- د. توفيق الفيل ، بلاغة التراكيب ، ص ١١٥ : ١٤٠ ، ط: مكتبة الآداب ، القاهرة ، د-ت .

كان حقها أن تتأخر ، نجد من ذلك حديثاً للخليل ، فى بحث الابتداء ، عن تقديم من النوع الذى عرف فيما بعد بأنه تقديم على نية التأخير " (١) .

ولم تقتصر ملاحظات أوائل الرواد على الزاوية النحوية للتقديم والتأخير، بل اتجهت - على استحياء - إلى الزاوية الفنية ؛ فتحدث أبو عبيدة " ت نحو ٢١٠ هـ " عن مجاز المقدم والمؤخر ، وأدرج ابن قتيبة " ت نحو ٢٧٦ هـ " التقديم والتأخير ضمن أسلوب القلب ، الذى هو من المجاز أيضاً (٢) . ثم جاء عبد القاهر " ت نحو ٤٧١ هـ " ليحدث فى التقديم والتأخير نقلة نوعية تجاوز بها موروث الأوائل إلى أمد بعيد .

وعكف البلاغيون على تنظيم البحث فى التقديم والتأخير ، فميزوا بين التقديم فى الجملة الإنشائية والتقديم فى الجملة الخبرية ، وقسموا التقديم فى الجملة الخبرية إلى تقديم المسند إليه ، وتقديم المسند ، وتقديم المتعلقات . وتجاوزوا فكرة سيبويه " ت نحو ١٨٠ هـ " عن الاهتمام بالمقدم والعناية بأمره ، إلى استخلاص نواتج دلالية أخرى ؛ كالاختصاص ، وإزالة الالتباس الدلالى ، وتقوية الحكم وتأكيديه ، والتلذذ بذكر المقدم ، وتعجيل المسرة أو المساواة . كما فطنوا إلى الظواهر الإيقاعية التى تصاحب بعض النواتج الدلالية لتقديم المقدم وتأخير المؤخر ؛ كالاتساق بين الفواصل ، وتناسق الأسجاع فى المنثور ، ورد الأعجاز على الصدور فى المنظوم ، إلى غير ذلك من الظواهر الإيقاعية .

وكما استخلصوا الشواهد الدالة على الدور الإيجابى للتقديم والتأخير ، استخلصوا الشواهد الدالة على دوره فى خفاء المعنى والتواء العبارة عنه ؛ كقول الفرزدق " ت نحو ١١٠ هـ " يمدح الوليد بن عبد الملك : (٣)

- 
- ١- د . عبد الحكيم راضى ، نظرية اللغة فى النقد العربى ، ص ٣٣٨ ، ط : الخانجي ، القاهرة ، د-ت .
  - ٢- انظر ، أبو عبيدة ، مجاز القرآن ١٩/١ ، تحقيق : د. محمد فؤاد سزكين ، ط : الخانجي ، القاهرة ، د- ت . ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، ص ١٩٣ : ٢٠٩ ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، ط : الثانية ، دار التراث ، القاهرة ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
  - ٣- انظر : المرزبانى ، الموشح فى مأخذ العلماء على الشعراء ، ص ٥٥ ، ١٤٢ ، تحقيق : على محمد البجاوى ، ط : دار الفكر العربى ، القاهرة ، د - ت . ابن الأثير ، المثل السائر ٢٢١/٢ . ابن النقيب ، مقدمة فى تفسير ابن النقيب ، ص ١٧٢ ، تحقيق : د. زكريا سعيد على ، ط : الأولى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د-ت .

## إلى ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كليبُ تصاهره

يريد : إلى ملك ليست جدته لأبيه من محارب ، لكن وفاءه بمتطلبات الصحة العروضية جعله يقدم خبر الأب عليه ، وهو جملة <sup>(١)</sup> ، ويعاظم معاظلة تحيف على المعنى ، وتعد العبارة عنه ، وتربك الأفهام ، وتفقد التلقى بعض بهجته .

وعني بعض البلاغيين القدماء بالنظر إلى الكلمة إذ تتقدم في آية وتتأخر في آية أخرى <sup>(٢)</sup> ، ونوعوا هذا النمط من التقديم والتأخير أنواعا ؛ كالتقديم باعتبار الزمان ، والتقديم باعتبار الشرف ، والتقديم باعتبار المكان ، وتقديم الأعب فالأعجب ، إلى غير ذلك من الأنواع التي أفاض الزركشى "ت نحو ٧٩٤ هـ" والسيوطي "ت نحو ٩١١ هـ" في الحديث عنها <sup>(٣)</sup> ، والتي سوف أشير - لاحقا - إلى نماذج مما ورد منها في سورة البقرة . وحول جماليات التقديم والتأخير ، ووجوده في القرآن الكريم ، وصلته بالمجاز ، تباينت مواقف العلماء ؛ أما جمالياته فقد قلل منها فريق من العلماء ؛ كابن المدبر "ت نحو ٢٧٩ هـ" ، وابن طباطبا "ت نحو ٣٢٢ هـ" ، والسيرافي "ت نحو ٣٦٨ هـ" وغيرهم ممن حذروا الكتاب من الغثاثة التي يضيفها تقديم المؤخر وتأخير المقدم على نتائجهم <sup>(٤)</sup> !

١- انظر :

- ابن جنى ، الخصائص ٣٩٤/٢ ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الذخائر ، العدد ١٤٧ ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .  
- مقدمة تفسير ابن النقيب ، ص ١٧٢ .

٢- كتقديم الآخرة على الأولى في قوله تعالى : " فله الآخرة والأولى " . النجم : الآية ٢٥ . وتقديم الأولى وتأخير الآخرة في قوله تعالى : وله الحمد في الأولى والآخرة . القصص : آية ٧٠ .  
٣- انظر :

- الزركشى ، البرهان في علوم القرآن ٣/ ٢٣٣ : ٢٦٠ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط : الثانية ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، د- ت .  
- السيوطي ، الإتيقان في علوم القرآن ٣/ ٣٥ : ٤١ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط : المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

٤- انظر :

- ابن المدبر ، الرسالة العذراء "ضمن رسائل البلغاء" لمحمد كرد علي ، ص ٦٩ ، ط : الثالثة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٦ م .

وأرجع العتابي " ت نحو ٢٢٠ هـ " فساد الصورة وتغيير المعنى إلى التقديم والتأخير ، يؤكد ذلك قوله : " الألفاظ أجساد ، والمعاني أرواح ، وإنما نراها بعيون القلوب ، فإذا قدمت منها مؤخرا ، أو أخرت منها مقدما ، أفسدت الصورة وغيرت المعنى ، كما لو حول رأس إلى موضع يد .. واعلم .. أن الذى ينبغى فى صنعة الكلام وضع كل شيء منه فى موضعه ليخرج بذلك من سوء النظم " (١) .

ودعا ابن سنان " ت نحو ٤٦٦ هـ " إلى أن توضع الألفاظ فى مواضعها ، ونهى صراحة عن اللجوء إلى التقديم والتأخير ، بدا ذلك واضحا فى قوله : " فمن وضع الألفاظ مواضعها ألا يكون فى الكلام تقديم وتأخير ، حتى يؤدي ذلك إلى فساد معناه وإعراجه فى بعض المواضع ، أو سلوك الضرورات حتى يفصل فيه بين ما يقبح فصله فى لغة العرب؛ كالصلة والموصول ، وما أشبههما " (٢) .

وخلافا لأنصار الموقف الأنف ، نجد عبد القاهر " ت نحو ٤٧١ هـ " ، وضياء الدين بن الأثير " ت نحو ٦٣٧ هـ " ، والزرركشى " ت نحو ٧٩٤ هـ " ، ينظرون بتقدير كبير إلى جماليات التقديم والتأخير ؛ فقد وصفه عبد القاهر بأنه باب كثير الفوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفتر لك عن بديعة ، ويفضى بك إلى لطيفة . ولا تزال ترى شعرا يروكك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه ، ثم تنتظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك ، أن قدم فيه شيء ، وحول اللفظ عن مكانه (٣) . بل لقد سخر

---

= - ابن طباطبا ، عيار الشعر ، ص ٦٧ ، ٧٢ ، ٧٦ ، تحقيق : د. محمد زغلول سلام ، ط: منشأة المعارف ، الإسكندرية ، د- ت .

- السيرافى ، ضرورة الشعر ، ص ١٧٣ ، تحقيق : د. رمضان عبد التواب ، ط: الأولى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

١- أبو هلال العسكري ، الصناعتين : الكتابة والشعر ، ص ١٧٩ ، تحقيق : د. مفيد قميجة ، ط: الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

٢- ابن سنان ، سر الفصاحة ، ص ١١١ ، ط : الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

٣- انظر : عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ص ١٠٦ .

عبد القاهر ممن هونوا أمر التقديم والتأخير ، ورأوا في تتبعه والنظر فيه ضربا من التكلف<sup>(١)</sup> ، وأضاف : " ولم تر ظنا أزرى على صاحبه من هذا وشبهه " <sup>(٢)</sup> .

ولئن ألمح عبد القاهر إلى ما يتركه التقديم والتأخير ، في نفس المتلقى ، من أثر إيجابى ، فقد نوه ضياء الدين بما فيه من " أسرار دقيقة " <sup>(٣)</sup> ، كما نوه الزركشى - متابعا عبد القاهر - بموقعه الحسن ومذاقه العذب عند المتلقى ، ثم أضاف ناعتا من يتعاطاه من الأدباء بالتمكن في الفصاحة <sup>(٤)</sup> .

وحول مسألة وجود التقديم والتأخير في القرآن الكريم نجد أبا حيان " ت نحو ٧٤٥هـ " ينكر أن يكون في القرآن الكريم لفظ تقدم على رتبته أو تأخر عنها . وهو يؤسس موقفه الراض انطلاقا من أن التقديم والتأخير من الضرائر التي تقع فى كلام البشر ، والتي ينبغى تنزيه القرآن عنها ، هذا إلى اعتقاده بأن وجود التقديم والتأخير فى القرآن من شأنه أن يفكك نظمه ، وأن يذهب بحلاوته <sup>(٥)</sup> .

وعلى النقيض من موقف أبي حيان نجد علماء ، من مثل عكرمة " ت نحو ١٠٧هـ " ، وقتادة " ت نحو ١١٧هـ " ، وابن الصائغ " ت نحو ٨٧٦هـ " ، يعترفون بما فى القرآن الكريم من تقديم وتأخير <sup>(٦)</sup> . ونقل ابن العربى " ت نحو ٤٢٣هـ " عن الطبرى " ت نحو ٣١٠هـ " أن التقديم والتأخير كثير فى القرآن <sup>(٧)</sup> . كما حمل ابن تيمية " ت نحو ٧٢٨هـ " على منكرى التقديم والتأخير فى القرآن ، وعتهم بعدم المعرفة بلغة العرب <sup>(٨)</sup> .

- 
- ١- انظر : عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ص ١٠٦ .
  - ٢- السابق : ص ١٠٦ .
  - ٣- انظر : ضياء الدين ، المثل السائر ٢/٢١٠ .
  - ٤- انظر : الزركشى ، البرهان ٣/٢٣٣ .
  - ٥- انظر : أبو حيان ، البحر المحيط ١/٢٠ ، ٧/١٨٠ ، ط : مطابع النصر الحديثة ، الرياض ، د-ت .
  - ٦- انظر : السيوطى ، الإتقان ٣/٣٣ : ٣٤ .
  - ٧- ابن العربى ، أحكام القرآن ١/١٣٩ ، تحقيق : على محمد الجاوى ، ط : عيسى البابى الحلبي ، القاهرة ، د- ت .
  - ٨- انظر : ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ٣١/١٦٢ ، تحقيق : عبد الرحيم بن قاسم وابنه محمد ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، د - ت .

وأما صلة التقديم والتأخير بالمجاز فقد أجازها ابن قتيبة حين أدرج في باب المقلوب تقديم ما يوضحه التأخير ، وتأخير ما يوضحه التقديم <sup>(١)</sup>. وعرف ابن فارس "ت نحو ٣٩٥ هـ" الحقيقة اللغوية بما يدل على أنه ينظر إلى التقديم والتأخير بوصفه ضرباً من المجاز ؛ فالحقيقة في نظره هي "الكلام الموضوع موضعه ، الذي ليس باستعارة ولا تمثيل ، ولا تقديم فيه ولا تأخير" <sup>(٢)</sup>، ومن ثم فأخرجه التقديم والتأخير من باب الحقائق إدخاله في باب المجازات .

وخلافاً لمذهب ابن قتيبة وابن فارس ، أنكر الزركشي أن يكون للتقديم والتأخير بالمجاز ثمة علاقة ، وأكد أن المجاز ليس نقلاً من الرتب ، وإنما هو نقل مما وضع له اللفظ إلى ما لم يوضع له <sup>(٣)</sup>.

وإذ قد فرغنا من عرض تباين مواقف العلماء من التقديم والتأخير : جمالياته ، ووجوده في القرآن الكريم ، وصلته بالمجاز ، نجد موقف العنابي ، وابن المدبر ، وابن طباطبا ، والسيرافي ، وابن سنان ، متمسكاً بعدم الدقة ؛ فليس صحيحاً أن التقديم والتأخير يصيب بالغبث نتائج الأدباء ، بل الصحيح أن الأديب الذي يرهف إحساسه بمواقع الكلمات ، والذي يسيطر على لغته ، يستطيع أن يسخره لا في البوح بأدق أفكاره ومختلف خواطره فحسب ، بل في وضع بصمته على أسلوبه ، وفي "ابتداع مستويات من التراكيب تجدد تجربة المتلقى بالنص ونسيجه المستحدث ، وتنشئ بين الكلمات ألفة جديدة تنقلها من سياقها التركيبي المألوف إلى سياق مغاير يتم فيه إعادة انتظام الجمل بشكل يلفت القارئ.." <sup>(٤)</sup>.

- 
- ١- انظر : ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، ص ١٩٣ : ٢٠٩ .
  - ٢- انظر : ابن فارس ، الصاحبى في فقه اللغة ، ص ١٩٧ ، تحقيق : مصطفى الشريمي ، ط : مؤسسة بدران ، بيروت ، ١٩٦٣ م .
  - ٣- انظر : الزركشي ، البرهان ٣ / ٢٣٣ .
  - ٤- انظر : د. خيرة حمر العين ، شعرية الانزياح : دراسة في جماليات العدول ص ٣٨ : ٣٩ ، ط : الأولى ، مؤسسة حماد للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع ، إربد ، ٢٠٠١ م .

وإذا أصيب الأدب بالغمثاة فذلك راجع ، لا إلى التقديم والتأخير ، بل إلى عدم تمكن الأديب من اللغة ، وضعف إحساسه بمواقع الكلمات ، وتكلفه في الحس والعبارة . الأديب المتمكن من لغته يدرك برهافة حسه أنه ما من تغيير فى مواقع الكلمات إلا ويترتب عليه تغير الدلالة وانتقالها من مستوى إلى مستوى آخر<sup>(١)</sup>. بهذا التمكن ، وهذه الرهافة ينجو نتاجه من الغمثة ، ويرتقى أسلوبه إلى مستوى أصحاب الأساليب الأدبية الرفيعة.

إن الكلمات لو تجمدت فى مواقعها ، واستعصت على التحريك الأفقى تقديماً أو تأخيراً ، لكان ذلك عيباً فى اللغة ، وعجزاً قاهراً فى اللسان يحبس أنبل ما تشعر به النفس الإنسانية من حس دقيق ، واختلاجة خفية لا سبيل إلى أن تتركب متن الكلمة ، وأن تنلغها فى داخلها وتفصح عنها فى الأداء<sup>(٢)</sup>. وإلى شيء مما سبق لم يلتفت العتابى ، وابن المدبر ، وابن طباطبا ، والسيرافى ، وابن سنان !

وما ذهب إليه أبو حيان من أن التقديم والتأخير من الضرورات التى ينتزعه عنها القرآن الكريم ، يعد رأياً مشوباً بالخلل ، ويكفى لبيان خلله أن ننظر إلى قوله تعالى : " وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله " (٣) ، وسوف نلاحظ أن تقديم " من آل فرعون " صان الدلالة من الالتباس ، وأن الصياغة القرآنية لو جاءت على أصل المواضع المكانية لكانت على النحو التالى : " وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون " ، وهنا يكون الناتج الدلالى بعيداً عن المستهدف ، ويكون المعنى أن الرجل من غير آل فرعون ، لكنه يكتم إيمانه خوفاً منهم ، وما إلى هذا المعنى تقصد الآية الكريمة . وإذن فلا سبيل إلى بلوغ المستهدف المقصود إلا بتقديم " من آل فرعون " (٤).

١- انظر : د. محمد عبد المطلب ، البلاغة والأسلوبية ، ص ٢٥٠ ، ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٤ م .

٢- انظر : د. محمد أبو موسى ، دلالات التراكيب ، ص ١٧١ .

٣- غافر : آية ٢٨ .

٤- انظر : د. محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية قراءة أخرى ، ص ٢٤٩ : ٢٥٠ .

ولو خلا القرآن الكريم من التقديم والتأخير لكان الجاهليون أول المبادرين إلى اتهامه بالنقص - تعالى كلام الله عن أى نقص - على أساس أن التقديم والتأخير كان معروفا فيما أنتج عصرهم من روائع شعرية ، وأنه كان طبعا مميزا للعبارة الشعرية فى شعر شعرائهم ، وأن القرآن يتحداهم فيما كانوا فيه بيرعون .

ومع تقديرنا لغيره أبى حيان الدينية إلا أنه لو تأنى قبل أن يصدر حكمه بتتزيه القرآن عن التقديم والتأخير ، لأدرك أن الجملة القرآنية " بناء قد أحكمت لبناته ، ونسقت أدق تنسيق ، لا تحس فيها بكلمة تضيق بمكانها .. أو لا تتعاش مع أخواتها ، حتى صار .. من المستحيل أن تغير فى الجملة كلمة بكلمة كأنما لم يخلق الله سبحانه لأداء تلك المعانى غير هذه الألفاظ " (١) . وإن فلا صحة لما يقال من أن التقديم والتأخير يفكك نظم القرآن ويذهب بحلوته .

ولتفنيد ما ذهب إليه ابن قتيبة وابن فارس من أن التقديم والتأخير ضرب من المجاز ، يكفى القول بأنه لا مجاز بغير علاقة وقرينة ، والتحريك الأفقى للدوال بالتقديم والتأخير يتم دون علاقة أو قرينة ؛ ولهذا كان الزركشى أبعد نظرا فى إحاحه على الفصل بين ما هو من المجاز ، وما هو من التقديم والتأخير .

أيا كان الأمر فقد أثمرت جهود القدامى ، فى دراسة التقديم والتأخير ، عن نتائج جديرة بالتقدير ، وأخرى تمس الحاجة إلى مراجعتها . ومما تمس الحاجة إلى مراجعته أن " المفعول إذا تقدم لزم الاختصاص " (٢) ، وأن فائدة تقديم الجار والمجرور تقتصر على الاختصاص والمشاكلة بين رعوس الآى (٣) ، وأن فائدة التقديم والتأخير ، على اختلاف ضروبه ، تنحصر فى الاهتمام والاختصاص ومراعاة نظم الكلام (٤) .

١- د. منير سلطان ، بلاغة الكلمة والجملة والجمل ، ص ١٠٧ ، ط : منشأة المعارف ، الإسكندرية ، د- ت .

٢- العلوى ، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ٦٦/٢ ، تحقيق : د. عبد الحميد هنداوى ، ط : الأولى ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .

٣- السابق ٤٠/ ٢ .

٤- ضياء الدين بن الأثير ، المثل السائر ٢١١/٢ .

وقد اتخذت هذه الدراسة من سورة البقرة ميدانا لها ؛ لأنها أكبر سور القرآن الكريم ، ومن ثم فهي زاخرة بالشواهد التي يمكن استخلاصها ، والتي تعزز صحة بعض ما تقرر سلفا ، وتصوب أخطاء بعض القواعد التي أرساها الأوائل ، وتضيف إلى الشواهد المكرورة جديدا يكسر نمطية الاستشهاد .

في سورة البقرة العديد من أنواع التقديم والتأخير ؛ كالتقديم بالسبق في مثل قوله تعالى : " وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب ... " <sup>(١)</sup> ؛ فأبراهيم عليه السلام إنما تقدم ، على من جاء من الأنبياء بعده ، لكونه أسبقهم زمنا ، وعلى هذا الأساس تتابع ذكر الأنبياء من بعده . ومثله تقديم السنة على النوم في قوله تعالى : " لا تأخذ سنة ولا نوم " <sup>(٢)</sup> .

وهناك تقديم بالشرف ؛ كما في قوله تعالى : " الحر بالحر والعبد بالعبد " <sup>(٣)</sup> . ومثله تقديم القلب على السمع والبصر في قوله تعالى : " ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة " <sup>(٤)</sup> ؛ لأن الحواس تقوم على خدمة القلب وتوصل إليه ، وهو المقصود . ثم قدم السمع على البصر ؛ لأن السمع أشرف ، ولشرفه جاءت الصفة سميع سابقة على الصفة عليم في الكثير من آيات سورة البقرة . <sup>(٥)</sup>

ومنه تقديم جبريل على ميكائيل في قوله تعالى : " من كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين " <sup>(٦)</sup> ؛ ذلك أن جبريل صاحب الوحي والقلم، وميكائيل صاحب الأرزاق ، والخيرات النفسانية أفضل من الخيرات الجسمانية. <sup>(٧)</sup>

---

١- البقرة : آية ١٣٦ .

٢- البقرة : آية ٢٥٥ . السيوطي ، الإتيقان ٣/٣٨ .

٣- البقرة : آية ١٧٨ . السيوطي ، الإتيقان ٣/٣٥ .

٤- البقرة : آية ٧ . السيوطي ، الإتيقان ٣/٣٥ .

٥- انظر : البقرة ، الآيات : ١٢٧ ، ١٣٧ ، ١٨١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٤٤ ، ٢٥٦ . السيوطي ، الإتيقان ٣/٣٥ : ٣٦ .

٦- البقرة : آية ٩٨ .

٧- انظر : الزركشي ، البرهان ٣/٢٥٦ .

وثمة تقديم باعتبار السبب ؛ كتقديم العليم على الحكيم فى قوله تعالى : " قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم " <sup>(١)</sup>؛ لأن الأحكام لا بد أن ينشأ عن العلم . ومنه تقديم التوبة على الطهارة فى قوله تعالى : " إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين " <sup>(٢)</sup> ، وإنما تقدمت التوبة لكونها سببا فى الطهارة . وكذلك تقديم العزيز على الحكيم فى قوله تعالى : " فاعلموا أن الله عزيز حكيم " <sup>(٣)</sup> ، وبدهى أن الله عز فحكم .

وثمة تقديم لعظم المقدم والاهتمام به ؛ كتقديم الصلاة على الزكاة فى نحو قوله تعالى : " وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة .. " <sup>(٤)</sup> ، فبدأ بالصلاة لأنها أهم ، وفى صلاحها صلاح أعمال المسلم كلها ، وهى أول ما يحاسب عليه المسلم بعد مماته .

ونجد الكلمة تتقدم فى آية ، وتتأخر فى آية أخرى ؛ كتقديم الشفاعة وتأخير العدل فى قوله تعالى : " واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون " <sup>(٥)</sup> ، وتقديم العدل وتأخير الشفاعة فى قوله تعالى : " واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون " <sup>(٦)</sup> ؛ فمن كان ميله إلى حب المال أشد من ميله إلى علو النفس فإنه يقدم التمسك بالشافعين على إعطاء الفدية ، ومن كان بالعكس يقدم الفدية على الشفاعة ، ففائدة تغيير الترتيب الإشارة إلى هذين الصنفين . <sup>(٧)</sup>

ومنه تقديم كلمة بصير فى قوله تعالى : " والله بصير بما يعملون " <sup>(٨)</sup> ، وتأخيرها

- 
- ١- البقرة : آية ٣٢ .
  - ٢- البقرة : آية ٢٢٢ .
  - ٣- البقرة : آية ٢٠٩ . وكذلك الآية ٢٢٨ . وأما تقديم صفة الحكيم على العليم فى سورة الأنعام [الآيات : ٨٣ ، ١٢٨ ، ١٣٩] فلأنه مقام تشريع الأحكام . انظر : السيوطى ، الإتيقان ٣/٣٩ .
  - ٤- البقرة : آية ٤٣ .
  - ٥- البقرة : آية ٤٨ .
  - ٦- البقرة : آية ١٢٣ .
  - ٧- انظر : تفسير الفخر الرازى ٨/٣ . الألوسى ، روح المعانى ٢٥٢/١ ، ط: دار إحياء التراث العربى، بيروت ، ١٩٩٩ م .
  - ٨- البقرة : آية ٩٦ .

فى قوله تعالى : " إن الله بما تعملون بصير .. " (١) إلى غير ذلك من أنواع التقديم والتأخير (٢) التى يخرج استقصاؤها عن أهداف الدراسة .

وتتصب هذه الدراسة على التقديم والتأخير فى الجملة الخبرية ، من خلال ثلاثة محاور : تقديم المسند إليه ، وتقديم المسند ، ثم تقديم المتعلقات .

### تقديم المسند إليه :

المسند إليه هو الفاعل وما ينوب عنه فى الجملة الفعلية ، أما فى الجملة الاسمية فهو المبتدأ الذى له خبر ، أو ما كان أصله المبتدأ ؛ كاسم كان ، واسم إن ، والمفعول الأول للمفعول ظن ، والمفعول الثانى للمفعول رأى .

ويأتى المسند إليه ، فى سورة البقرة - أو فى غيرها من الننتاج الأدبى - مثبتا تارة ، ومنفيا تارة أخرى . وإذ يتقدم على مسنده لا يتقدم اعتباطا ، بل لتحقيق نواتج دلالية يترتب على تحقيقها - أحيانا - اتساق بين فواصل الآى .

وتعد المبادرة إلى تعظيم المسند إليه أحد النواتج الدلالية المستهدفة من جراء تقديمه ، يبدو ذلك فى مثل قوله تعالى : " الله لا إله إلا هو الحى القيوم " (٣) . وما يفيد وجود المسند إليه ، فى صدارة الجملة ، من مبادرة المتلقى إلى تعظيمه ، لا يستفاد لو جاءت الآية على النحو التالى : " لا إله إلا الله هو الحى القيوم " .

ومن مقاصد تقديم المسند إليه المبادرة إلى تحقيره ؛ كما فى قوله تعالى : " الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء " (٤) . المقام فى الآية مقام وعيد وإنذار ؛ وعيد من مغبة الوعود الشيطانية ، وإنذار من الاستسلام لأوامر محرضة على ما يغضب الله . والمستهدف هو حمل المتلقى على أن يبادر إلى احتقار وعود الشيطان وأوامره ، ولكى

١- البقرة : آية ٢٣٧ .

٢- أحصى السيوطي - نقلا عن ابن الصائغ - عشرة أنواع من التقديم والتأخير ، وأشار إلى أن آخرين ذكروا أسبابا أخرى . انظر ، الإتيان ٤٠/٣ : ٤١ .

٣- البقرة : آية ٢٥٥ .

٤- البقرة : آية ٢٦٨ .

يتحقق هذا المستهدف لم يكن بد من جعل المسند إليه " الشيطان " فى صدر الجملة الخبرية . ولئن كان الوعيد والإنذار يستحضران المتلقى بوصفه أحد طرفى الاتصال ، فلاشك أن للمبدع حضوره فى تحقيق المستهدف الدلالى ، وله قصده فى إخافة المتلقى وبعثه على احتقار وعود الشيطان وأوامره .

وقد يتقدم المسند إليه المثبت ، على خبره الفعلى ، تعجيلاً للمسرة ؛ فالمتلقى الذى راعه تقدم المسند إليه فى قوله تعالى : " الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء " يغدو فى أمس الحاجة إلى ما يحيل فزعه أمناً ، ويبعث فى نفسه السرور ؛ لذلك تقدم المسند إليه فى قوله تعالى : " والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً " (١) . فزعه يعقبه وعد مضمون يبعث فى النفس تفاؤلاً وطمأنينة ، أما لو جاءت الصياغة القرآنية على النحو التالى : " يعدكم الله مغفرة منه وفضلاً " فليس ثمة تعجيل بالمسرة ، بل إن الطمأنينة تخبو ، والتردد يتسرب إلى الذهن . ومع أن للمتلقى حضوراً كبيراً فى التشكيل البلاغى ، فإن حضوره لا يلغى قصد المبدع إلى إنتاج هذا المعنى .

ولتأكيد الحكم وتقويته تقدم المسند إليه فى مثل قوله تعالى : " وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم ، إنما نحن مستهزئون ، الله يستهزئ بهم .. " (٢) .

إن حالة التذبذب والخداع ، التى كان عليها المنافقون ، تقتضى حكماً فيه من التأكيد والتقوية ما يردعهم ، ويردع المقتدين بهم فى كل زمان ومكان ؛ لهذا تقدم المسند إليه " الله " على مسنده الفعلى " يستهزئ " بحيث غدا الحكم بالاستهزاء مسنداً مرتين : مرة إلى المسند إليه المقدم ، وأخرى إلى الضمير المستتر فى الفعل . وما يسند من الأحكام مرتين أقوى وأكد - بداهة - مما يسند مرة واحدة . (٣) قال الزمخشري " ت نحو

١- البقرة : آية ٢٦٨ .

٢- البقرة : آية ١٥ .

٣- انظر :

- السكاكى ، مفتاح العلوم ، ص ٢٢١ : ٢٢٢ ، بشرح نعيم زرزور ، ط : الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .  
- د. تمام حسان ، البيان فى روائع غريب القرآن ١٣٥/٢ ، ط : الثانية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

٥٣٨ هـ : " إن الله عز وجل هو الذى يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ " (١) ، لكن هذه الأبلغية تتضاءل لو جاءت الصياغة القرآنية هكذا : " يستهزئ الله بهم " .

وما لا تخطئ العين ملاحظته أن المسند إليه المثبت ، يتقدم على مسنده الفعلى المثبت ، تحقيقا لا لنتاج دلالى واحد ، بل لأكثر من ناتج ، وشواهد ذلك عديدة ، أذكر منها - تمثيلا لا حصرا - قوله تعالى :

" والله يرزق من يشاء بغير حساب .. " (٢)

" والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم " (٣)

" والله يقبض ويبسط .. " (٤)

" والله يضاعف لمن يشاء .. " (٥)

إن بناء الجملة ، في الشواهد الأربعة الآتية ، متماثل من حيث تقديم المسند إليه المثبت ، على المساند الفعلية المثبتة ، وقد تعددت نواتجه الدلالية ؛ فهناك التلذذ بذكر المسند إليه ، مع ما يبعثه وجوده ، فى مقدمة الجمل ، من تفاؤل وسكينة يمتلئ بهما وجدان المتلقى الذى يغدو مهيبا لاستقبال ما يتعلق بالمسند إليه من أحكام .

هناك ناتج دلالى ثان يتمثل فى تقوية الأحكام وتأكيدا بسبب إسنادها مرتين : مرة إلى المسند إليه ، وأخرى إلى الضمائر المستترة فى كل فعل ، ومن ثم فإذا ذكر الحكم كان أشد ثبوتا ، وأنفى للشبهة ، وأمنع للشك ، وأدخل فى التحقيق ؛ فإن إعلامك الشيء بغتة ليس كإعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة له ؛ لأن ذلك يجرى مجرى تكرير الإعلام فى التأكيد والإحكام . (٦)

١- الزمخشري ، الكشاف ١/١٠٥ ، ط: الثانية ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، ١٤٢١ هـ .

٢- البقرة : آية ٢١٢ .

٣- البقرة : آية ٢١٣ .

٤- البقرة : آية ٢٤٥ .

٥- البقرة : آية ٢٦١ .

٦- انظر : عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ص ١٥٩ .

أما آخر النواتج الدلالية فهو اختصاص المسند إليه بالرزق ، والهداية ، والقبض ، والبسط ، والمضاعفة لمن يشاء من عباده . وليس صحيحا القول بأن إفادة الاختصاص تتحقق إذا تأخر المسند إليه في الشواهد الأربعة ؛ فإن التأخير يعطى ناتجا دلاليا مغايرا ؛ إذ يجعل المعنى على الإخبار ، ولا يكون الاختصاص مستهدفا ؛ لأنه إنما قُصِدَ وأريد بالتقديم ، ومتى انتفى التقديم انتفى معه الاختصاص .

ولقد يترتب على الناتج الدلالي المستهدف أصلا من تقديم المسند إليه المثبت ، على مسنده الفعلى المثبت ، اتساق بين فواصل الآى ، يظهر ذلك فى مثل قوله تعالى : "الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون" (١) .

فالجملة الحالية : " وهم يعلمون " تقدم فيها المسند إليه المثبت ، على مسنده الفعلى المثبت ، استهدافا لناتج دلالي بالدرجة الأولى ، ذلك الناتج هو تقوية الحكم وتأكيده ، وإنما احتاج الحكم إلى التقوية والتأكيد بسبب ذلك الفريق من العلماء الذين يعرفون صحة ما جاء به الرسول - عليه الصلاة والسلام - كما يعرف الواحد منهم ولده ، ولكنهم يأبون إلا أن يكتموا الناس ما فى كتبهم من صفة النبى (٢) ، فافتضى واقع حالهم أن يساق الكلام عنهم بطريقة فيها تقوية وتأکید .

وبتأخير المسند " يعلمون " اتسقت الفاصلة النونية ، فى الآية الكريمة ، مع فاصلتين يسبقانها (٣) ، وفاصلة تليها (٤) .

واستهدافا للناتج الدلالي بالدرجة الأولى ، مع ما ترتب عليه من الاتساق بين فواصل الآى ، تقدم المسند إليه المثبت ، على مسنده الفعلى المثبت ، وذلك فى قوله

---

١- البقرة : آية ١٤٦ .

٢- انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ١/١٨٤ ، ط : الأولى ، مكتبة النور العلمية ، بيروت ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م .

٣- أعنى فاصلة الآيتين ١٤٤ : ١٤٥ .

٤- أعنى فاصلة الآية ١٤٧ .

تعالى: " أفتمنعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون " (١).

والمعنى أن اليهود عقلوا التوراة ووعوها ، ثم حرفوها بأن جعلوا الحلال فيها حراما والحرام حلالا ، والحق فيها باطلا والباطل حقا ، فإذا جاءهم المحق برشوة أخرجوا له كتاب الله ، وإذا جاءهم المبطل برشوة أخرجوا له ذلك الكتاب ؛ فهو فيه محق. وإذا جاءهم من يسألهم شيئا ليس فيه حق ولا رشوة أمروه بالحق . (٢) وهم ينكرون التحريف ، وينكرون علمهم به ، فاقتضى إنكارهم توكيد الحكم " العلم " وتقويته بتقديم المسند إليه .

وإذ تقدم المسند إليه تأخر المسند ، فأسهم تأخيره في اطراد الاتساق بين عشرين فاصلة نونية تسبقه (٣) ، وثمانى وعشرين تليه (٤) ، وهو اطراد يجعل المعنى ألصق بالذاكرة ، والتلقى فعلا ممزوجا بالبهجة .

وكما يتقدم المسند إليه المثبت ، على مسنده الفعلى المثبت ، يتقدم على مسنده الفعلى المنفى ، استهدافا لغايتين : دلالية ولفظية، نرى مثلا لذلك قوله تعالى : "ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون " (٥).

والغاية الدلالية المستهدفة هي اختصاص الكافرين بعدم العقل ليكونوا عبرة لغيرهم ممن هم بالدواب السارحة أشكل ، ولكن الحكم لا يتعداهم إلى غيرهم ممن يعقلون أوامر الله ونواهيه .

والغاية اللفظية هي الاتساق بين الفواصل ؛ فالفاصلة " يعقلون " مبنية على النون،

---

١- البقرة : آية ٧٥ .

٢- انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ١١٠/١ .

٣- هي فواصل الآيات ٥٥ : ٧٤ .

٤- هي فواصل الآيات ٧٦ : ١٠٣ .

٥- البقرة : آية ١٧١ .

وقد اتسقت مع ثلاث فواصل نونية تسبقها (١) ، وفاصلة تليها (٢) .

كذلك تقدم المسند إليه المثبت ، على مسنده الفعلى المنفى ، استهدافا لغائيتين : دلالية ولفظية ، وذلك فى قوله تعالى : " كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون " (٣) .

فالاختصاص هو الغاية الدلالية المستهدفة من قصر الحكم ، بعدم العلم ، على المأمورين بالجهد متى استنفروا ، بغض النظر عن كراهتهم للقتال ، على أن الحكم لا يتعداهم إلى غيرهم من العجائز والحوامل والشيوخ وسواهم من الفئات التى لا تؤمر بقتال . ثم جاءت القرينة (٤) : " والله يعلم " لتعزيز الناتج الدلالي المستهدف . ولو جاءت الصياغة القرآنية على النحو التالي : " والله يعلم ولا تعلمون " ، فسوف ننتهى إلى ناتج دلالي مغاير . والاتساق بين الفواصل هو الناتج اللفظى لتأخير المسند ، إذ اتسقت الفاصلة النونية " تعلمون " مع أخرى جاءت بعدها (٥) .

أما إذا كان المسند إليه منفياً ، وتقدم على مسنده الفعلى المثبت ، فإن نواتجه تختلف من سياق إلى آخر ؛ ففي مثل قوله تعالى : " أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ، فلا يخفف عنهم العذاب ، ولا هم ينصرون " (٦) نجد الناتج الدلالي الذى يعطيه تقدم المسند إليه المسبوق بالنفى ، على مسنده الفعلى " ينصرون " ، هو اختصاص من اشتروا الدنيا بالآخرة - دون سواهم - بعدم النصر .

---

١- هى فواصل الآيات ١٦٨ : ١٧٠ .

٢- هى فاصلة الآية ١٧٢ .

٣- البقرة : آية ٢١٦ . ومثلها الآية : ٢٣٢ من السورة نفسها .

٤- القرينة هنا تعزز إفادة الاختصاص ، ولا تمنع إرادة المعنى الأصلى ، ومن ثم فهى مختلفة عن قرينة المجاز .

٥- هى فاصلة الآية ٢١٧ .

٦- البقرة : آية ٨٦ . وانظر شواهد أخرى جرت على هذا البناء ، وذلك فى سورة البقرة ، الآيات :

٤٧ ، ٤٨ ، ٦٢ ، ١١٢ ، ١٢٢ : ١٢٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ .

والناتج اللفظي هو اطراد الاتساق بين تسع وأربعين فاصلة نونية؛ إذ اتسقت كلمة الفاصلة " ينصرون " مع إحدى وثلاثين فاصلة نونية تسبقها<sup>(١)</sup>، وسبع عشرة جاءت بعدها<sup>(٢)</sup>. وفي ظل ما يمتاز به حرف النون من غنة، وما يسبقه من مدود، تبحر المعانى إلى الوجدان محفوفة بالإيقاعات العذاب، ويصبح التلقى فعلا ممتعا، لا تشوبه شائبة من ملل برغم ارتفاع معدل الفواصل إلى تسع وأربعين.

وفي مثل قوله تعالى: " فمن اتبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون "<sup>(٣)</sup>، نجد المسند إليه المنفى يتقدم على مسنده الفعلى، استهدافا لغايتين: دلالية ولفظية؛ أما الدلالية فهي نفى الحكم " الحزن " عن الهداة متى حضرهم الموت<sup>(٤)</sup>؛ لاستبشارهم ببقاء ربهم، وإثباته - أى الحكم - على الكافرين وعصاة المؤمنين الذين تسود وجوههم إذا حضرهم الموت؛ وذلك لسوء أعمالهم. وأما الغاية اللفظية فهي اتساق الفاصلة النونية مع عشر فواصل جاءت بعدها<sup>(٥)</sup>.

وتظهر هيمنة السياق على الناتج الدلالي حين نجد الجمل الخبرية تتماثل ببناء وتتخالف نواتجها الدلالية، ولتأكيد ما سبق نقف بإزاء شاهدين: أحدهما قوله تعالى: " وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تבעوا منا، كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم، وما هم بخارجين من النار "<sup>(٦)</sup>.

وسوف نجد الاختصاص ناتجا دلاليا استهدفه تقدم المسند إليه المنفى، على مسنده الاسمي المشتق " خارجين "، لكن الخلود فى النار لا يتعدى المحكوم عليهم إلى عصاة المؤمنين؛ ذلك أن المؤمن العاصى يخرج من النار بشفاعة الشافعين. هذا شاهد.

- 
- ١- هى فواصل الآيات ٥٥ : ٨٥ .
  - ٢- هى فواصل الآيات ٨٧ : ١٠٣ .
  - ٣- البقرة : آية ٣٨ .
  - ٤- انظر : الشوكانى ، فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير ٩٣/١ ، ط : الثانية، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .
  - ٥- هى فواصل الآيات ٣٩ : ٤٨ .
  - ٦- البقرة : آية ١٦٧ .

والآخر قوله تعالى : " ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين " (١) . لا يصح عقلا ونقلا أن يختص الله المنافقين من الأوس والخزرج بعدم الإيمان ؛ فإن ذلك يتنافى - من بعض الوجوه - مع عدل الله وسعة رحمته ، وإنما تقدم المسند إليه المنفى ، على مسنده الاسمي المشتق " مؤمنين " لتأكيد الحكم بعدم الإيمان عن منافقى الأوس والخزرج ، وبيان كذبهم فيما يزعمون ، وخصوصاً أنهم أكدوا زعمهم الإيمان بتكرار الباء في قولهم : " وباليوم الآخر " ، مع أنه كان بوسعهم أن يقولوا : " آمنا بالله واليوم الآخر " ، لكن هذه الباء عززت زعمهم الإيمان باليوم الآخر ، بحيث بدا وكأنه إيمان مستقل .<sup>(٢)</sup> وهكذا نجد المسند إليه المنفى يتقدم على مسنده الاسمي المشتق ، ليفيد اختصاصاً في سياق ، وتأكيداً في سياق آخر ، مما يقطع بأن العبرة بالسياق لا باتحاد الجمل من حيث البناء .

بل إن الجملة تتماثل بناءً وكلمات وحروفاً فتفيد في سياق غير ما تفيد في سياق آخر ، آية ذلك أننا لو نظرنا إلى جملة " ولا هم ينظرون " في قوله تعالى : " إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون " (٣) ، فسوف نجد الاختصاص هو الناتج الدلالي المستهدف من تقديم المسند إليه المنفى على مسنده الفعلي المثبت ؛ فالكفار مختصون بعدم الإمهال ، مستحقون العذاب المتواصل ، لكن الحكم بعدم الإنظار لا يتعداهم إلى عصاة المؤمنين ، الذين يمهلون ، وتدركهم شفاعة الشافعين .

ولو نظرنا إلى جملة " ولا هم ينظرون " في قوله تعالى : " لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ، ولا عن ظهورهم ، ولا هم ينصرون ، بل تأتيهم بغتة فتبتهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون " (٤) ، فلن نجد في تقديم المسند إليه المنفى " ولا هم ينظرون " ما يفيد الاختصاص ؛ فإن الساعة متى قامت لا تمهل مؤمناً أو كافراً ،

١- البقرة : آية ٨ .

٢- انظر : د. محمد محمد أبو موسى ، دلالات التراكيب ، ص ١٨١ : ١٨٢ .

٣- البقرة : آية ١٦١ : ١٦٢ .

٤- الأنبياء : آية ٣٨ : ٣٩ .

وإنما أفاد تقديم المسند إليه المنفى ، على مسنده الفعلى المثبت ، تقوية الحكم وتأكيده أن الكافرين لا يمهلون فى تلك اللحظات كما أمهلوا فى الدنيا حين استعجلوا وقالوا : متى هذا الوعد (١) .

إن الجملة التى أفادت الاختصاص هى بعينها التى أفادت تقوية وتأكيدها ، لم يختلف من حروفها حرف ، وإنما الذى اختلف هو السياق ، مما يؤكد أن الملفوظات المتماثلة لا يتأتى تحديد معناها بدقة إلا إذا عرفنا السياق الذى وردت فيه (٢) .

### تقديم المسند :

المسند إما أن يكون فعلاً تاماً ، أو اسم فعل ، أو خبراً للمبتدأ ، أو مصدراً ناب عن فعل الأمر ، أو ما كان أصله خبراً ؛ نحو أخبار كان وإن ، والمفعول الثانى للفعل ظن ، والمفعول الثالث للفعل رأى .

وإذ ننظر إلى تقديم المسند ، فى سورة البقرة ، نجده يستهدف نواتج دلالية ما كان لها أن تتحقق حال احتفاظه بأصاله موقعه . ويعد التخصيص من أبرز النواتج التى يستهدفها تقديم المسند ، يبدو ذلك فى قوله تعالى : " والله المشرق والمغرب " (٣) . الجملة هنا اسمية ، والأصل فيها أن يتقدم المسند إليه ، ولا سيما أنه معرفة ، ولكن خولف الأصل لصالح الناتج الدلالي المستهدف وهو اختصاص الله وحده بملكية المشرق والمغرب . ولو ردت البنية إلى أصلها تكون : " المشرق والمغرب لله " ويكون الناتج غير الناتج المستهدف ، كما يظل إيقاع الملكية على شريك مع الله احتمالاً وارداً ، مع ما فى ذلك من فساد للمعنى والعقيدة .

ومما تقدم فيه المسند استهدافاً للاختصاص قوله تعالى : " ولهم فيها أزواج مطهرة .. " (٤) . ومع أن النحاة يجيزون الابتداء بالنكرة المخصصة بالوصف ، إلا أن

١- انظر : د. محمد محمد أبو موسى ، دلالات التراكييب ، ص ١٧٩ .

٢- انظر : على آيت أوشان ، السياق والنص الشعري : من البنية إلى القراءة ، ص ٣٩ ، ط : الأولى ، مطبعة النجاح ، الدار البيضاء ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .

٣- البقرة : آية ١١٥ . ومثل ذلك تخصيص المسند بالمسند إليه فى الآية ١٤٢ من السورة نفسها .

٤- البقرة : آية ٢٥ .

الصياغة القرآنية انحازت إلى الوظيفة البلاغية للغة حفاظا على الناتج الدلالي المستهدف. إن تخصيص المؤمنين بالأزواج المطهرة لا يتحقق لو صيغت الآية كالاتي : " أزواج مطهرة لهم فيها " ؛ لذلك لم يكن بد من العدول عما يجيزه النحو إلى ما يتطلبه الناتج الدلالي المستهدف .

ومن ذلك قوله تعالى : " ولهم في الدنيا خزى .. " <sup>(١)</sup> ، والمعنى أن من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ، وسعى في خرابها ، اختصه الله بالخرى في الدنيا ، وليس لهذا الناتج الدلالي أن يتحقق إلا بتقديم المسند ، ولو عاد المسند إلى أصل موقعه لأنتج غير المستهدف إنتاجه ، وأوهم أن " لهم " صفة للنكرة " خزى " .

ومنه قوله تعالى : " ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء " <sup>(٢)</sup> ، حيث تقدم المسند " عليك " وتأخر المسند إليه " هداهم " لغاية دلالية هي تخصيص الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، بعدم الهداية ؛ قال تعالى : " وما على الرسول إلا البلاغ المبين " <sup>(٣)</sup> . على الرسول البلاغ ، أما الهداية فليس مختصا بها ، والقرينة المعززة لذلك هي : " ولكن الله يهدي من يشاء " .

ومنه قوله تعالى : " ولنا أعمالنا ، ولكم أعمالكم " <sup>(٤)</sup> . الناتج الدلالي المستهدف هو تخصيص كل فريق بأعماله تخصيصا لا يدع للمشاركين مجالا للتصل من أعمالهم . ومع أن المسند إليه " أعمالنا - أعمالكم " معرفة ، وبه يصح الابتداء ، إلا أن القاعدة انتهكت لصالح الدلالة المستهدفة التي لا تحققها الدوال متى عادت إلى مواقعها الأصلية .

واحتراسا من الالتباس الدلالي تقدم المسند على المسند إليه في قوله تعالى : " ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين " <sup>(٥)</sup> ؛ ذلك أن احتفاظ المسند " لكم " بأصالة موقعه يوهم المتلقى بأنه صفة للنكرة " مستقر " ، على أساس أن الجمل وأشباهاها بعد النكرات صفات ،

١- البقرة : آية ١١٤ .

٢- البقرة : آية ٢٧٢ .

٣- النور : آية ٥٤ . العنكبوت : آية ١٨ .

٤- البقرة : آية ١٣٩ .

٥- البقرة : آية ٣٦ .

ومن ثم يظل المتلقى منتظرا الخبر ، متوهما أنه لم يأت بعد . ومما يعزز أوهام المتلقي أن حاجة النكرة إلى الصفة أمس من حاجتها إلى الخبر <sup>(١)</sup> . فلا مفر إذن من تقديم المسند تحريرا للمتلقى من الأوهام ، وصيانة للنتاج الدلالى المستهدف من الاضطراب .

ومن مقاصد تقديم المسند تشويق المتلقى إلى المسند إليه المتأخر ، يظهر ذلك فى قوله تعالى : " ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب .. " <sup>(٢)</sup> . الآية تأتى فى سياق الوعظ ، وإرادة التشويق تكثر فيما يوعظ به ويمدح . وإذ يجد المتلقى المسند " البر " متقدما تستحصد أشواقه إلى معرفة المسند إليه .

ومن ذلك قوله تعالى : " إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار ، والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض ، آيات لقوم يعقلون .. " <sup>(٣)</sup> ، فالمتلقى يجد المسند " فى خلق السماوات والأرض .. " متقدما ، فنتثار أشواقه إلى معرفة المسند إليه " لآيات " . هنا نلاحظ أن الآية تأتى فى سياق الوعظ ، وتوجه المتلقى إلى نعم الله ودلائل قدرته ، ومن ثم فليس غريبا أن يكون للمتلقى أقوى حضور فى التشكيل البلاغى ، وإن لم يبلغ حضوره القوى قصد المبدع إلى إثارة أشواقه لمعرفة المسند إليه ، لاسيما أن المسافة بعيدة بين موقع المسند وموقع المتلقى إليه ؛ قال المراغى : " إذا كان فى المسند المتقدم طول يشوق النفس إلى ذكر المسند إليه فيكون ذكره بعدئذ أوقع وأتم " <sup>(٤)</sup> .

### تقديم المتعلقات :

المتعلقات هى المفعول به ، والجار ومجروره ، والظرف ، والحال ، وغير ذلك

- ١- انظر : د. درويش الجندى ، علم المعانى ، ص ٨٨ ، ط : نهضة مصر ، القاهرة ، د - ت .
- ٢- البقرة : آية ١٧٧ . وتجدر الإشارة إلى أن قراءة حمزة وحفص هى التى تعطى الآية صلاحية الاستشهاد بها على تقديم المسند وتأخير المسند إليه . انظر : الشوكانى ، فتح القدير ٢١٩/١ .
- ٣- البقرة : آية ١٦٤ .
- ٤- أحمد مصطفى المراغى ، علوم البلاغة ، ص ٩٨ ، هامش ١ ، ط : دار العلوم ، بيروت ، د - ت .

من القيود . والأصل فيها أن تتأخر عن العوامل ، لكن هذا الأصل يُخالفُ قصداً إلى أهداف معنوية ولفظية يراد تحقيقها .

وإذ ننظر إلى المفعول به نجده يتقدم لا على الفعل فحسب ، بل على الفاعل ونائبه أيضاً . ومما تقدم فيه المفعول على الفعل والفاعل قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله إن كنتم إياه تعبدون " <sup>(١)</sup> . وقد حقق تقدم المفعول به "إياه" على عامله ناتجا دلالياً هو تخصيص العبادة بالله ، وهو ناتج لا يحققه المفعول به حال بقائه في موقعه الأصلي . ولو جاءت الآية كالاتي : " إن كنتم تعبدون إياه " ، لكان التردد ، وإيقاع الحكم بالعبادة على غير الله ، احتمالين قائمين . ما سبق يؤكد قول الطوفى "ت نحو ٧١٦ هـ" : " .. أنك لو قدمت الفعل في "زيدا ضربت" مثلاً ، فقلت : "ضربت" لبقى السامع متردداً في عين المفعول ، لا يعلمها حتى تفرغ من التلطف بالفعل ، ثم تصرح به ، ولكنت مخييراً قبل تمام التلطف بالفعل في إيقاعه على من شئت . وإذا قدمت المفعول علم السامع عينه بمجرد ذكره قبل ذكر الفعل ، وامتنع اختيارك في الإيقاع إلا عليه ، لتعين الفعل له بتقديمه .. " <sup>(٢)</sup> .

وكما حقق تقدم المفعول على الفعل ناتجا دلالياً ، حقق تأخر المسند "تعبدون" ناتجا لفظياً تمثل في اتساقه مع أربع فواصل نونية تسبقه . <sup>(٣)</sup>

واستهدفاً لنواتج دلالية ولفظية تقدم المفعول على الفعل والفاعل ، في قوله تعالى : " يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإياى فارهبون " <sup>(٤)</sup> . والمعنى : لا ترهبوا إلا الله . وليس لهذا القصر أن يتحقق إلا بإزاحة المفعول به من موقعه الأصلي ، وتقديمه على عامله ، خلافاً للقاعدة . ولو عاد المفعول إلى موقعه الأصلي لانتهينا إلى غير الناتج الدلالي المستهدف .

١- البقرة : آية ١٧٢ .

٢- الطوفى ، الأक्सير ، ص ١٥٥ .

٣- هي فواصل الآيات ١٦٨ : ١٧١ .

٤- البقرة : آية ٤٠ .

أما تأخير العامل "فارهبون" فقد حقق ناتجا لفظيا هو الاتساق بين فواصل الآي؛ حيث اتسقت به الفاصلة النونية مع فاصلتين تسبقانها <sup>(١)</sup> ، وثمان لحقت بها <sup>(٢)</sup> . وبدهى أنه ما كان لهذا الاتساق أن يتحقق لو احتفظ المفعول بأصالة موقعه .

وخلافا لقانون الرتب المحفوظة تقدم المفعول على الفعل والفاعل فى قوله تعالى :  
" ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا وإياى فاتقون " <sup>(٣)</sup> . وإنما استهدف الانحراف عن القانون نواتج معنوية ولفظية ؛ أما الناتج المعنوى فهو تخصيص الاتقاء بالله وقصره عليه ، بحيث لا يشاركه فيه غيره . وأما الناتج اللفظى فهو اتساق كلمة الفاصلة "فاتقون" مع ثلاث فواصل تسبقها <sup>(٤)</sup> ، وسبع لحقت بها <sup>(٥)</sup> . ولو ردت البنية إلى أصلها لأصبحت الجملة القرآنية هكذا : " فاتقوا إياي " ومن ثم لم يعد هناك مجال للتخصيص أو الاتساق .

ومما تقدم فيه المفعول على الفعل والفاعل قوله تعالى : " وظللنا عليكم الغمام ، وأنزلنا عليكم المن والسلوى ، كلوا من طيبات ما رزقناكم ، وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون " <sup>(٦)</sup> . يتجه الخطاب فى الآية الكريمة إلى اليهود ، ويعدد جانبا من نعم الله عليهم ، ويشير إلى استعصائهم على طاعة الله برغم ما شاهدوه من معجزات إنزال المن والسلوى ، وهو استعصاء لم يظلموا به سوى أنفسهم . وفى تقديم المفعول على الفعل والفاعل مزيد اختصاص بكونهم هم ظالمى أنفسهم ولم يظلمهم أحد . وجاء النفى : " وما ظلمونا " تعزيزا للاختصاص بوصفه الناتج الدلالى المستهدف ؛ قال الألوسى " ت نحو ١٢٧٠هـ : " وتقديم المفعول للدلالة على القصر الذى يقتضيه النفى السابق ، وفيه ضرب تهكم بهم .. " <sup>(٧)</sup> . وفى الآية استهزاء ضمنى بالعقل اليهودى ؛ فليس لعاقل أن يظلم نفسه .

١ - أعنى فاصلة الآيتين ٣٨ : ٣٩ .

٢ - أعنى فواصل الآيات ٤١ : ٤٨ .

٣ - البقرة : آية ٤١ .

٤ - هى فواصل الآيات ٣٨ : ٤٠ .

٥ - هى فواصل الآيات ٤٢ : ٤٨ .

٦ - البقرة : آية ٥٧ .

٧ - الألوسى ، روح المعانى ١/ ٢٦٤ .

لا يظلم نفسه سوى سفيه . هذا الاستهزاء مبعوث في أحشاء الصياغة التي قالته دون أن تلفظ به .

وبتقدم المفعول به " أنفسهم " تأخر الفعل والفاعل " يظلمون " فاتسقت - من ثم - الفاصلة النونية مع اثنتين يسبقانها <sup>(١)</sup> ، وست وأربعين فاصلة تأتي بعدها <sup>(٢)</sup> . ولولا التحريك الأفقى للدوال تقديمًا وتأخيرًا ما كان للناجين : المعنوى واللفظى أن يتحققا .

أيضا تقدم المفعول على الفعل والفاعل في قوله تعالى : " .. أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقا كذبتم ، وفريقا تقتلون " <sup>(٣)</sup> . المفعول في الآية تقدم مرتين دون أن يفيد اختصاصا . والمقدم في الآية هم الأنبياء الذين أرسلوا إلى بنى إسرائيل ، وكانوا عرضة للتكذيب والقتل . ولجدارتهم بالاهتمام تقدموا على الحكم تكذيبا كان أو قتلا . وفي تقديمهم - أيضا - ما يثير أشواق المتلقى إلى معرفة مصائرهم <sup>(٤)</sup> ، وما ألم بهم من مكائد اليهود وحمقاتهم ، وما كان لهذا الناتج المعنوى أن يتحقق لو جاء المفعول به في موقعه الأصلي ، وغدت الصياغة : " كذبتم فريقا ، وقتلتم فريقا " .

وهناك ناتج لفظى حقه تأخير المسند " تقتلون " ، وهو اطراد الاتساق بين فواصل تسع وأربعين آية ، منها اثنتان وثلاثون فاصلة تسبق الفعل تقتلون <sup>(٥)</sup> ، وست عشر جاءت بعده <sup>(٦)</sup> . ومما تجدر ملاحظته أن الصياغة القرآنية عدلت ، في كلمة الفاصلة، عن الماضى إلى المضارع ، وذلك من قبيل الحرص على اطراد الاتساق ، والإيحاء بدوام التجدد والاستمرار فى القتل . كان المتوقع أن تكون نهاية الآية : " وفريقا قتلتم " حتى تتواءم مع : " وفريقا كذبتم " ، لكن كلمة الفاصلة كسرت المتوقع حرصا على تواتر فاصلة النون المسبوقة بالمدود ، والتي تشيع مناخا صوتيا يساعد على ترسيخ المعانى فى

١- أعنى فاصلة الآيتين ٥٥ : ٥٦ .

٢- أعنى فواصل الآيات ٥٨ : ١٠٣ .

٣- البقرة : آية ٨٧ .

٤- انظر : الألوسي ، روح المعاني ٣١٨/١ .

٥- هى فواصل الآيات ٥٥ : ٨٦ .

٦- هى فواصل الآيات ٨٨ : ١٠٣ .

الذواكر ، ويدعم الرغبة في مزيد من التلقى الممتع . هذه ملاحظة .

والأخرى هي أن إثارة أشواق المتلقى ، وإشباع حاجاته الجمالية ، لهما في التشكيل البلاغي أقوى حضور ؛ فالمتلقى ، بوصفه أحد طرفي الاتصال ، يهيمن على الخطاب بدرجة كبيرة ، ولكنها هيمنة مقصودة من قبل المبدع .

ومما تقدم فيه المفعول ، على الفعل وفاعله ، قوله تعالى : " ومما رزقناهم ينفقون " (١) وإنما تقدم المفعول لئلا يتوهم ، بتقدير تأخيره ، جواز الإنفاق مما ليس بمملوك . وطبقا للطوفى فلا يصح التعلل بأن منطق العقل وقواعد الشرع يمنعان التصرف في غير المملوك ؛ لأن الكلام ينبغي أن يكون مفيدا بليغا بذاته ، لا بالنظر إلى دليل خارجي ، فنحن استفدنا هذا المعنى من هذا اللفظ ، أما منطق العقل وقواعد الشرع فهما أدلة خارجية تؤكد المعنى (٢) .

وعزز تأخير الفعل وفاعله : " ينفقون " الاتساق بين خمس فواصل نونية ، منها فاصلة تسبق الفعل وفاعله (٣) ، وثلاث تلحق بهما (٤) .

ولمراعاة حال المتكلم تقدم المفعول على الفاعل في قوله تعالى : " أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها ، قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها " (٥) . بيت المقدس هو القرية المشار إليها في الآية الكريمة ، وكانت قد تحولت - حين مرَّ عليها العزيز (٦) - إلى أطلال خربة بعد أن دمرها بختنصر - ملك بابل - وجنوده (٧) تدميرا لا عهد للناس

١- البقرة : آية ٣ .

٢- انظر : الطوفى ، الأكسير ، ص ١٥٥ .

٣- هي فاصلة الآية ٢ .

٤- هي فواصل الآيات ٤ : ٦ .

٥- البقرة : آية ٢٥٩ .

٦- وهو الرأي المشهور عند الجمهور . وذهب جماعة من العلماء إلى أن المار على القرية هو الخضر عليه السلام . انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٢٩٧/١ . الشوكاني ، فتح القدير ٣٥٦/١ .

٧- انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٢٩٧/١ .

به ، مما أورث العزيز روعاً وريباً في تلك القدرة التي يمكن أن تعيدها إلى ما كانت عليه من العمران ، ومن هنا تقدم المفعول " هذه " ليتناسب مع حال العزيز وما يستبد به من روع وشك<sup>(١)</sup>. وهذا من خصائص البلاغة القرآنية التي تستطيع أن تكشف ، بوسائنها التعبيرية ، عن أدق الخلجات ، وأعمق الأسرار القابعة في النفس الإنسانية<sup>(٢)</sup>. ولوردت البنية إلى أصلها ، لأصبحت الصياغة كالاتي : " أنى يحيى الله هذه " ومن ثم لم يعد هناك فرق بين تخريب مألوف في الحروب ، وتخريب لا عهد للناس به ، وسوف يغدو ضئيلاً إحساس العزيز بفداحة الخطب، وحجم الشك في إمكانية إعمار القرية مرة أخرى .

ومما تقدم فيه المفعول ، على الفاعل ، قوله تعالى : " أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت ... " <sup>(٣)</sup> ، وإنما تقدم المفعول " يعقوب " على الفاعل " الموت " ؛ لأن مكانة يعقوب - عليه السلام - في سياق الآية تجعله بالتقديم أجدر<sup>(٤)</sup> ، ولأن الساعة ، التي هي محط الفائدة ، تحتم أن يكون يعقوب قادراً على القيام بدور الموصي ؛ حتى تبرأ وصيته من القدح في صحتها .

ولو ردت البنية إلى أصلها ، فسوف تصبح الجملة : " أم كنتم شهداء إذ حضر الموت يعقوب " وسوف يكون الناتج واحداً من أمرين : غلبة سكرة الموت على يعقوب ، مما يجعله عرضته للتخليط ، ويفقده أهلية الموصي . هذا أمر .

والآخر : الموت المؤكد الذي يقطع صلة يعقوب بالحياة ، والذي يلغى كل مجال للوصية ، وأى وجود للموصي<sup>(٥)</sup> .

- 
- ١- وهذا واضح بدلالة الاستفهام على الاستبعاد في قوله تعالى : " أنى يحيى هذه الله ؟ " .
  - ٢- انظر : د. محمد محمد أبو موسى ، التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم ١/١٤٦ ، ط: الأولى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .
  - ٣- البقرة : آية ١٣٣ .
  - ٤- انظر : الرازي ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، ص ٣١٦ ، تحقيق : د. بكرى شيخ أمين ، ط: الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٥ م .
  - ٥- انظر : د. عبد العظيم المطعنى ، التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم ١/١٠٥ : ١٠٦ ، ط: الأولى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .

ما يعينى تأكيده هو أن تقدم المفعول به حقق إلى جانب الاختصاص ، فوائد دلالية أخرى ؛ كالاهتمام بالمقدم ، وتشويق السامع ، وعدم الإخلال بالمعنى ، ومراعاة حال المتكلم ، هذه الفوائد تُصَوَّبُ ما ذهب إليه العلوي من أن " المفعول إذا تقدم لزم الاختصاص "(١). حقا إن الاختصاص هو الفائدة الغالبة على تقدم المفعول ، ولكن كونها غالبية شيء ، وكونها لازمة شيء آخر .

وفضلا عن الفوائد الدلالية التي حققها - إلى جانب الاختصاص - تقديم المفعول به ، هناك فوائد لفظية تتمثل في الاتساق بين فواصل الآى ، وهي فوائد لا يمكن إغفالها أو التقليل من جدواها لا في التمكين للمعنى وتعزيز أثره في نفس المتلقي فحسب ، بل في جعل التلقي فعلا بهيجا .

أما تقديم الجار والمجرور فله في سورة البقرة صورتان : إحداهما أن يكون فى كلام منفى ؛ نحو قوله تعالى : " ذلك الكتاب لا ريب فيه " (٢). وهنا يكون الناتج الدلالي مطلق النفي لما يزعمه الكفار ، عن القرآن الكريم ، من ريب (٣). ويرى عبد القاهر أن قوله تعالى : " لا ريب فيه " بيان وتوكيد وتحقيق لقوله : " ذلك الكتاب " ، وزيادة تثبت له ، وبمنزلة أن تقول : " هو ذلك الكتاب ، هو ذلك الكتاب " ، فتعيده مرة ثانية لتثبيته ، وليس يثبت الخبر غير الخبر (٤).

ولو تقدم الجار ومجروره ، وأصبحت الجملة القرآنية : " لا فيه ريب " فسوف تعطي ناتجا دلاليا غير المستهدف ؛ إذ ينتفى الريب عن القرآن الكريم ، ولا ينتفى عن الكتب السماوية الأخرى (٥). هذه صورة .

١- العلوى ، الطراز ٦٦/٢ .

٢- البقرة : آية ٢ .

٣- انظر : ابن النقيب ، مقدمة تفسير ابن النقيب ، ص ١٦٩ .

٤- انظر : عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ص ٢٢٧ . وبين ابن الأثير والطوفى خلاف حول دلالة تأخر الجار والمجرور فى قوله تعالى : " لا ريب فيه " ، ودلالة تقديمه فى قوله تعالى : " لا فيها غول " . لمزيد من التفاصيل انظر : ابن الأثير ، الجامع الكبير ، ص ١١١ ، ط : المجمع العلمى العراقى ، بغداد ، د - ت . الطوفى ، الأكسير ، ص ١٥٨ : ١٥٩ .

٥- انظر : السكاكى ، مفتاح العلوم ، ص ٣٣٥ . الطبيى ، التبيان فى علم المعانى والبديع والبيان ، ص ١٢٩ ، تحقيق : د. هادى عطية مطر ، ط: الأولى ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م . محمد مصطفى المراعى ، علوم البلاغة ، ص ٩٨ .

**والصورة الأخرى** يأتي فيها الجار والمجرور في المثبت من الكلام ، حيث يتقدم على رتبته تحقيقا لنواتج دلالية لا يحققها إذا احتفظ بموقعه الأصلي ، كما يحقق اتساقا بين فواصل الآى ، وهو ناتج لفظى له أثره الفعال فى حيوية التلقى وجعل المعنى أكثر رسوخا فى الذواكر ، لكن هذا الناتج ليس له صفة اللزوم .

ومما تقدم فيه الجار ومجروره ، على الفعل ونائبه ، استهدافا للناتج الدلالى وحده، قوله تعالى : " وقضى الأمر وإلى الله ترجع الأمور " <sup>(١)</sup>؛ فالحركة الأفقية التى تقدم من خلالها الجار ومجروره عمقت الناتج الدلالى ؛ إذ جعلت الحكم " مرجع الأمور " مقتصرًا على الله ، بحيث لم يعد هناك ثمة احتمال للتردد أو إيقاع الحكم على غير الله ، وكأنتنا قلنا: " لا مرجع للأمر إلا إلى الله " . ولا أثر للتقديم فى الفاصلة .

واستهدافا للناتج الدلالى وحده - أيضا - تقدم الجار والمجرور على الفعل ونائبه فى قوله تعالى : " واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون " <sup>(٢)</sup>؛ فقصر الحشر على الله- بوصفه ناتجا دلاليا مستهدفا - لا يتأتى تحقيقه لو كانت الصياغة : " واتقوا الله واعلموا أنكم تحشرون إليه " ، وإنما يتحقق عن طريق إزاحة الجار والمجرور عن موقعه الأصلي ، وتقديمه على الفعل ونائبه . أما كون الناتج الدلالى هو المستهدف وحده فذلك راجع إلى أن كلمة "تحشرون" فاصلة مفردة ، وإن تواءمت مع شيوع فاصلة النون فى سورة البقرة .

وقد يستهدف تقديم الجار ومجروره الاختصاص ، ويكون فى تأخيره إخلال بالمعنى ، نرى مثلا لذلك قوله تعالى : " وما تفعلوا من شيء فإن الله به عليم " <sup>(٣)</sup> ؛ فاختصاص الله بالعلم بأفعال عباده خيرا كانت أو شرا - مع ما يترتب على ذلك من عادل الجزاء - ناتج دلالى استهدفه تقديم الجار ومجروره على خبر الناسخ . أما لو احتفظ الجار ومجروره بأصالة موقعه ، وغدت الصياغة : " وما تفعلوا من شيء فإن الله عليم به " ، فسوف ينتفى الاختصاص ، ويختل المعنى ؛ لأن المتلقى سوف يتوهم ، فى هذه الحال ،

١- البقرة : آية ٢١٠ .

٢- البقرة : آية ٢٠٣ . وانظر : آية ٢٨ ، ٢٤٥ من السورة نفسها .

٣- البقرة : آية ٢١٥ .

أن الجار ومجروره صفة للخبر النكرة . ودرءا لهذا التوهم ، وتحقيقا للاختصاص - فى  
آن - لم يكن بد من تقديم الجار والمجرور على خبر الناسخ . ولا علاقة للفاصلة بشيء  
مما تقدم ؛ لأن عليم فاصلة مفردة .

ولدفع الالتباس تقدم الجار والمجرور على المفعول به فى قوله تعالى : " وقاتلوا  
فى سبيل الله الذين يقاتلونكم " <sup>(١)</sup> . الالتباس المدفوع بتقديم الدوال على أصل مواقعها ،  
إنما يظهر جليا إذا ردت البنية إلى أصلها ، وأصبحت الصياغة : " وقاتلوا الذين يقاتلونكم  
فى سبيل الله " ؛ إذ يغدو المعنى ملبسا ، والمتلقى حائرا لا يدري أى الطائفتين تقاتل فى  
سبيل الله ، وأيهما تقاتل فى سبيل الباطل ، ومن ثم يتعذر عليه الامتثال لأمر الله بالقتال .  
وإنقاذا للمعنى من الالتباس ، وللمتلقى من الحيرة ، لم يكن بد من تقديم " فى سبيل الله "  
على المفعول به . هنا يبدو بوضوح أن البلاغة القرآنية تراعى أحوال المخاطبين ،  
وتتجاز إلى ما يصح به المعنى حتى لو انتهكت قانون الرتب المحفوظة .

وقد يجتمع فى تقديم الجار والمجرور على المفعول به أكثر من ناتج دلالى ، على  
نحو ما يظهر فى قوله تعالى : " فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب  
الرحيم " <sup>(٢)</sup> ؛ فاختصاص المفعول به بما تقدم عليه ناتج دلالى استهدفه تقديم " من ربه "  
على " كلمات " . وطمأنة آدم - عليه السلام - إلى أن الله تقبل توبته ناتج آخر استهدفه  
تقديم الجار والمجرور . ولو ردت البنية إلى أصلها ، وتحولت الصياغة إلى : " فتلقى آدم  
كلمات من ربه " فسوف ينتفى الاختصاص ، ولن يكون الكلام ملائما تلَّهفَ آدم على ما  
يطمئنه إلى قبول توبته .

وتعجيلا بالمسرة تقدم الجار والمجرور على المفعول به فى قوله تعالى : "  
وأرسلنا فيكم رسولا منكم .. " <sup>(٣)</sup> . وذهب الألوسى إلى أن تقديم الجار والمجرور على  
المفعول الصريح " رسولا " استهدف التعجيل بإدخال السرور فى نفوس المخاطبين <sup>(٤)</sup> .

١- البقرة : آية ١٩٠ .

٢- البقرة : آية ٣٧ .

٣- البقرة : آية ١٥١ .

٤- انظر : الألوسى ، روح المعانى ١٨/٢ .

وفضلا عما سبق فإن احتفاظ الجار والمجرور بموقعه الأصلي يفقد الصياغة سلاستها ؛ فلو كانت الصياغة : " وأرسلنا رسولا فيكم منكم " لغدا الكلام عاريا من الفصاحة ، وأصابه شيء من التعقيد بسبب تتابع الجار والمجرور " فيكم منكم " .

وللاهتمام بالمقدم ، وإيلائه أكبر قدر من العناية ، تقدم الجار والمجرور على المصدر الذى ينوب عن الفعل الأمر فى قوله تعالى : " لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا .. " (١) . فليس هناك من هو أهم بالرعاية من الوالدين ، ولا من هو أجدر منهم بإحسان الأبناء . هنا تجدر الإشارة إلى أن إحسان الأبناء لا يمكن قصره على الآباء ، بدليل أن الآية وجهت إلى فئات أخرى تستحق الإحسان غير الوالدين .

وترى الجار والمجرور يتكرر داخل الآية الواحدة ، فيحتفظ بأصالة موقعه مرة ، ويتقدم على عامله مرة أخرى ، يظهر ذلك فى قوله تعالى : " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا .. " (٢) ؛ فالجار والمجرور " على الناس " جاء تاليا لشبه الفعل " شهداء " ؛ لأن أتباع النبى ، عليه الصلاة والسلام ، مكلفون بإبلاغ رسالة الله إلى الناس ؛ ليشهدوا عليهم بالإبلاغ يوم القيامة . وليست شهادتهم ، بعد الإبلاغ ، خاصة بأناس دون آخرين ؛ فإن الخطاب لعموم المؤمنين ، والمطلوب تبليغهم عموم غير المؤمنين ، لا خصوص فريق منهم (٣) .

أما الجار والمجرور " عليكم " فقد تقدم على عامله " شهيدا " لهدف دلالى هو الاختصاص ، بمعنى اختصاصهم بشهادة الرسول عليهم (٤) . إن احتفاظ الجار والمجرور " على الناس " بموقعه الأصلي ، ثم تقديمه فى : " ليكون الرسول عليكم شهيدا " يؤكد أن التحريك الأفقى للدوال ، بالتقديم والتأخير ، لا يتم اعتبارا ، وإنما هو محكوم بمقاصد يراد تحقيقها ، فإذا انتفى المقصد احتفظت الدوال بأصالة مواقعها ، وفى هذا أبلغ رد على من

١- البقرة : آية ٨٣ .

٢- البقرة : آية ١٤٣ .

٣- انظر : السكاكى ، مفتاح العلوم ، ص ٢٣٤ .

٤- انظر : السكاكى ، مفتاح العلوم ، ص ٢٣٤ . الشوكانى ، فتح القدير ١/١٩٢ . د. محمد محمد أبو

موسى ، بلاغة التراكيب ، ص ١٣٣ : ١٣٤ .

يدعون أن التقديم وعدمه سواء .

ولقد تقع عملية التحريك الأفقى للدوال ، بالتقديم والتأخير ، فى نهاية الآية ، وفى هذه الحال يغلب أن يكون الناتج المستهدف دلاليا ، ولفظيا ، نرى مثلا لذلك قوله تعالى : " والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون " <sup>(١)</sup>؛ فالجار والمجرور تقدم على الفعل وفاعله للإشارة إلى أن إيقانهم مقصور على حقيقة الآخرة لا يتعداها إلى خلاف حقيقتها مما يزعمه اليهود - مثلا- حيث قالوا : " لن يدخل الجنة إلا من كان هودا .. " <sup>(٢)</sup> ، كما قالوا أيضا : " ولن تمسنا النار إلا أياما معدودة.. " <sup>(٣)</sup>، وذكر الزمخشري " ت نحو ٥٣٨ هـ " - ووافقه السكاكي " ت نحو ٦٢٦ هـ " ، والسيوطي " ت نحو ٩١١ هـ " - أن تقديم " الآخرة " وبناء " يوقنون " على " هم " فيه تعريض بأهل الكتاب وما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته ، وأن قولهم ليس بصادر عن إيقان ، وأن اليقين ما عليه من أمن بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك <sup>(٤)</sup> . هذا عن الناتج الدلالي .

وبتأخير الفعل وفاعله " يوقنون " تحقق الناتج اللفظى المستهدف ؛ إذ اتسقت كلمة الفاصلة مع فاصلتين تسبقانها <sup>(٥)</sup>، واثنيتين تلحقان بها <sup>(٦)</sup> . ولا يتأتى لهذا الاتساق أن يتحقق لو رُدَّت البنية إلى أصلها ، وغدت الجملة : " يوقنون بالآخرة " .

كذلك يقع التقديم والتأخير فى نهاية الآية ، وذلك فى قوله تعالى : " صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون " <sup>(٧)</sup>، وقد ترتب على وقوعه فى نهاية الآية

---

١- البقرة : آية ٤ .

٢- البقرة : آية ١١١ .

٣- البقرة : آية ٨٠ . وانظر : الألوسى ، روح المعانى ١٢٣/١ .

٤- انظر : الزمخشري ، الكشاف ٢٣/١ . السكاكى ، مفتاح العلوم ، ص ٢٣٤ . السيوطى ، الإتقان فى

علوم القرآن ١٥٨/٣ : ١٥٩ .

٥- أعنى فاصلة الآيتين : ٢ ، ٣ .

٦- أعنى فاصلة الآيتين : ٥ ، ٦ .

٧- البقرة : آية ١٣٨ .

ناتجان : دلالي ولفظي ؛ أما الدلالي فهو قصر العبادة على الله سبحانه وتعالى حتى لكأننا نقول : " لا نعبد إلا الله " . هذا القصر لا يمكن تحقيقه لو احتفظ الجار والمجرور بموقعه الأصلي ، وغدت الصياغة : " ونحن عابدون له " ، بل إن الجار والمجرور لو احتفظ بموقعه الأصلي لأوهم المتلقى بأنه صفة للنكرة " عابدون " . وأما الناتج اللفظي فقد نشأ عن تأخير الخبر الذي مهد بدوره لاتساق ثلاث فواصل نونية جاءت بعده<sup>(١)</sup> . ما يعينني تأكيده أن تقديم الجار ومجروره وتأخير الخبر استهدف بالدرجة الأولى ضبط الدلالة وتحرير المتلقى من الأوهام ، ثم جاء الاتساق بين الفواصل ثمرة للمستهدف الدلالي .

وفي نهاية الآية تقدم الجار والمجرور على مكانهما في التركيب برغم أن المبتدأ معرفة ، وذلك في قوله تعالى : " غفرانك ربنا وإليك المصير " <sup>(٢)</sup> ؛ لأن الناتج الدلالي المستهدف هو تحديد الجهة التي يكون إليها المصير ، والنفي الضمني لوجود أية جهة غيرها . كما أن الناتج اللفظي المستهدف هو الاتساق بين الفواصل ؛ حيث اتسقت الفاصلة الرائية " المصير " مع الفاصلة " قدير " <sup>(٣)</sup> ، وكلا الناتجين لا يتحقق إلا بتقديم الجار والمجرور وتأخير الخبر .

ومن ذلك قوله تعالى : " وللكافرين عذاب مهين " <sup>(٤)</sup> حيث تقدم الجار والمجرور برغم أنه يصلح أن يكون فاصلة تسد مسد " مهين " ، وبرغم جواز الابتداء بالنكرة المخصصة بالوصف ، وإنما تقدم لناتج دلالي وهو مزيد اختصاص لهم بالعذاب المهين . هذا الناتج لا يتحقق لو كانت الصياغة : " وعذاب مهين للكافرين " .

ومن ذلك قوله تعالى : " بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون " <sup>(٥)</sup> ، حيث تقدم الجار والمجرور " فيها " مرتين استهدافا لناتج دلالي هو

١- هي فواصل الآيات ١٣٩ : ١٤١ .

٢- البقرة : آية ٢٨٥ .

٣- وهي فاصلة الآية ٢٨٤ .

٤- البقرة : آية ٩٠ .

٥- البقرة : آية ٨١ ، ٨٢ .

الاختصاص بتحقيق موقع الخلود لكل فريق من الفريقين ، وتأكيد أنه لا مكان - فى الآخرة - لليهود ومن اقترب السيئات وغمرته الخطايا ، سوى النار . ولا مكان - فى الآخرة - للمؤمنين سوى الجنة . وإلى جانب هذا الناتج الدلالى هناك ناتج لفظى هو الاتساق بين الفواصل النونية ؛ فإن كلمة " خالدون " فى الآيتين ساعدت على اطراد الاتساق بين ست وعشرين فاصلة نونية تسبقها<sup>(١)</sup>، وإحدى وعشرين فاصلة تليها<sup>(٢)</sup>. ولو كانت الصياغة : " هم خالدون فيها " ما كان للاتساق أن يتحقق .

ولأهمية المقدم ورعاية الفاصلة يفصل بين الصفة وموصوفها ؛ كما فى قوله تعالى : " وفى ذلك بلاء من ربكم عظيم "<sup>(٣)</sup> ؛ فإن " من ربكم " صفة شبه جملة ، و " عظيم " صفة مفردة فصلت عن موصوفها " بلاء " ؛ ذلك أن مصدر البلاء أهم من صفته ، وأن الصفة " عظيم " تحمل من المد المعتاد قبل حرف الفاصلة ما لا تحمله كلمة " ربكم " . ومع أن المؤلف أن تتبع الصفة موصوفها بلا فاصل ، لكن لغة القرآن تكسر الإلف من أجل المعنى والإيقاع .

ولرعاية الفاصلة تتقدم الصفة على الصفة ، نرى مثلا لذلك قوله تعالى : " وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرعوف رحيم "<sup>(٤)</sup> ؛ فالصفة رعوف تقدمت على الصفة رحيم ؛ لأن الرأفة رحمة وزيادة ، أو هى شدة الرحمة . إذن فقد قدم الأبلغ ، وكان يمكن أن تتقدم الرحمة ، وأن يكون التدرج فى ذكر الصفات من الأدنى إلى الأعلى ، ولكن ذلك يخل بالاتساق بين الفاصلة الميمية فى " رحيم " والفاصلة التى تسبقها " تستقيم "<sup>(٥)</sup> .

- 
- ١- هى فواصل الآيات ٥٥ : ٨٠ .
  - ٢- هى فواصل الآيات ٨٣ : ١٠٣ .
  - ٣- البقرة : آية ٤٩ .
  - ٤- البقرة : آية ١٤٣ .
  - ٥- وهى فاصلة الآية ١٤٢ . وانظر : محمد على الصابونى ، صفوة التفاسير ١/١٠٢ ، ط : الخامسة ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

## النتائج :

١- فنذت الدراسة ما أشاعه العتابى " ت نحو ٢٢٠ هـ" ، وابن المدبر " ت نحو ٢٧٩ هـ " ، وابن طباطبا " ت نحو ٣٢٢ هـ " ، والسيرافى " ت نحو ٣٦٨ هـ" وابن سنان " ت نحو ٤٦٦ هـ" ، من أن التقديم والتأخير يضى على نتاج الأدباء غثاة ، ويؤدى إلى فساد الصورة وتغيير المعنى . وأكدت أن اللغة المعيارية لا تمكن الأديب من التعبير عن أرهف الأحاسيس وأدق الخلجات ، ومن ثم فلا بد من خرق المعيار تعبيراً عما يتأبى التعبير عنه طبقاً لقوانين اللغة المعيارية . ولئن أصابت الغثاة بعض النصوص فذلك يرجع لا إلى الاستعانة بالتقديم والتأخير ، بل إلى تكلف الحس والعبارة ، وإلى عدم تمكن المبدع من لغته ، وعجزه عن تفجير أقصى طاقاتها الدالية .

٢- انتهت الدراسة إلى بطلان القول بأن التقديم والتأخير من الضرائر التى ينبغى تنزيه القرآن الكريم عنها ؛ ذلك لأن التقديم والتأخير من سنن التعبير العربى الفصيح منذ الجاهلية ، وقد جاء القرآن الكريم مجارياً للعبارة العربية ، ومن ثم فإقصاء التقديم والتأخير منه - مهما كانت دوافعه نبيلة - ينال من سمو بلاغته ، ويتناقض لا مع ما تقطع بصحته الشواهد القرآنية فحسب ، بل مع شهادات علماء لا تقل غيرتهم الدينية عن غيرة أبى حيان ؛ مثل عكرمة " ت نحو ١٠٧ هـ" ، وقتادة " ت نحو ١١٧ هـ" ، وابن قتيبة " ت نحو ٢٧٦ هـ" ، والطبرى " ت نحو ٣١٠ هـ" ، وعبد القاهر " ت نحو ٤٧١ هـ" ، والزمخشرى " ت نحو ٥٣٨ هـ" ، وابن تيمية " ت نحو ٧٢٨ هـ" ، وابن الصائغ " ت نحو ٨٧٦ هـ" ، والسيوطى " ت نحو ٩١١ هـ" ، وغيرهم ممن يطول ذكرهم .

٣- أظهرت الدراسة تهافت رأى ابن قتيبة ، وابن فارس " ت نحو ٣٩٥ هـ" حول صلة التقديم والتأخير بالمجاز ، ورجحت ما ذهب إليه الزركشى " ت نحو ٧٩٤ هـ" من أن التقديم والتأخير نقل من الرتب ، وليس نقلاً مما وضع له اللفظ

إلى ما لم يوضع له . وعززت رأى الزركشى بأن المجاز لا يكون مجازا بغير علاقة وقرينة ، فى حين أن تقديم المؤخر وتأخير المقدم لا يحتاج إلى علاقة ، وأن القرينة إذا وجدت فى بعض شواهده فإن وظيفتها مغايرة تماما لوظيفة القرينة فى التعبير المجازى .

٤ - أثبت تحليل بعض شواهد الدراسة خطأ ما ذهب إليه العلوي "ت نحو ٧٤٥ هـ" من أن المفعول به إذا تقدم لزم الاختصاص ؛ لأن إفادة الاختصاص إن تكن غالبية على تقدم المفعول به فليست لازمة ، ولأن المفعول به يتقدم اهتماما بالمقدم ، وتشويقا للمتلقى<sup>(١)</sup> ، ومراعاة لحال المتكلم<sup>(٢)</sup> ، هذا إلى ما قد يترتب على تأخير عامله من اتساق بين فواصل بعض الآى .

٥ - ومن تحليل بعض شواهد الدراسة اتضح أن الجمل الخبرية يمكن أن تتماثل هيئاتها التركيبية ، وتتخالف نواتجها الدلالية ؛ فالمسند إليه المنفى يتقدم على مسنده الاسمى فيفيد اختصاصا فى سياق ، وتأكيذا فى سياق آخر<sup>(٣)</sup> . والمسند إليه المنفى يتقدم على مسنده الفعلى فيفيد اختصاصا فى سياق ، وتقوية وتأكيذا فى سياق آخر ، برغم تماثل الجملتين الخبريتين حروفا وكلمات وبناء<sup>(٤)</sup> . وهذا يؤكد أن للسياق دورا بالغ الأهمية فى ضبط النواتج الدلالية .

٦ - تؤكد شواهد الدراسة أهمية عدم التعجل فى النظر إلى الشاهد والحكم على ناتجه الدلالي ، وأهمية عدم الاكتفاء بتحديد أحكام الأوائل دون التقليل من قيمة جهودهم ، وأنه ليس من الدقة فى شيء أن يقلص المستهدف من التقديم والتأخير فى ناتج دلالي واحد ، أو فى ناتج دلالي واحد مع اتساق بين فواصل الآى ، وإنما يمكن بالنظر المتأنى أن نستخلص من الشاهد الواحد أكثر من ناتج دلالي ؛ ففي قوله

١ - انظر : ص ٢٤ من الدراسة .

٢ - انظر : ص ٢٥ من الدراسة .

٣ - انظر : ص ١٧ : ١٨ من الدراسة .

٤ - انظر : ص ١٨ : ١٩ من الدراسة .

تعالى : " والله يرزق من يشاء بغير حساب " (١) نجد تعجيلا بالمسرة ، وتلذذا بذكر الله ، فضلا عن تقوية الحكم بإسناده مرتين : مرة إلى المسند إليه ، وأخرى إلى الضمير المستتر في الفعل " يرزق " . ونجد - أخيرا - اختصاص المسند إليه بالحكم .

٧- ظهر من تحليل شواهد الدراسة أن هناك نواتج دلالية يشترك في تحقيقها رُكنا الجملة الخبرية والمتعلقات ؛ فالاختصاص يحققه تقديم المسند إليه ، والمسند ، والمفعول به ، والجار ومجروره . والاحتراس من الخلل الدلالي يشترك في تحقيقه تقديم المسند ، والمفعول به ، والجار ومجروره ، ولا يحققه المسند إليه المقدم . وتعجيل المسرة ناتج يحققه تقديم المسند إليه ، والجار ومجروره . وتشويق المتلقي يشترك في تحقيقه تقديم المسند ، والمفعول به .

٨- إن تحليل بعض شواهد الدراسة دل على أن فوائد التقديم والتأخير لا تنحصر في الاهتمام ، والاختصاص ، ومراعاة نظم الكلام ، كما يظن ضياء الدين بن الأثير ، بل تتجاوز الثلاث الفوائد الأنفة إلى رفع الالتباس الدلالي ، وتقوية الحكم وتأكيدده ، وتشويق المتلقي ، ومراعاة أحوال المتكلمين والمخاطبين .

٩- وأظهر التحليل الأسلوبي أن حضور المبدع والمتلقى ، بوصفهما طرفي الاتصال ، يتفاوت في درجته من آية إلى أخرى ؛ ففي قوله تعالى : " الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء " يستأثر المتلقى بالحضور الأقوى ، على أساس أنه لا الفقر يجوز على الله ، ولا الفحشاء ، غير أن قوة حضور المتلقى لا تلغى قصد المبدع إلى إخافة المتلقى من الشيطان . وفي قوله تعالى : " والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم " يكون الحضور الأقوى للمبدع سبحانه وتعالى .

١٠- ودل تحليل شواهد الدراسة على أن الناتج الدلالي يعد أقوى البواعث على التحريك الأفقى للدوال - داخل الجمل الخبرية - بالتقديم والتأخير ، وأن الاتساق بين

---

١- البقرة : آية ٢١٢ .

فواصل الآى - مع أهميته في ترسيخ المعنى ، وفي جعل التلقي مصحوبا باللذة -  
يغلب أن يكون ثمرة الناتج الدلالى المستهدف . وفى أحوال نادرة للغاية تكون  
رعاية الفاصلة هي الباعثة على تقديم المؤخر وتأخير المقدم .

ويبقى أن أشير إلى أن هذه الدراسة ليست سوى عمل بشري فيه ما في البشر من  
نقص ، أما الكمال فقد استأثر به الله . ويكفي أنني اجتهدت فإن أصبت فمن توفيق الله ،  
وإن كانت الأخرى فلي أجر المجتهد . هذا وبالله التوفيق .

تمت الدراسة .

\*\*\*\*\*

## المصادر والمراجع

- ١ - ابن الأثير " ت نحو ٦٣٧ هـ " :  
المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق : د. أحمد الحوفى ، د. بدوى طبانة ، ط : نهضة مصر ، القاهرة د - ت .
- ٢ - ابن الأثير " ت نحو ٦٣٧ هـ " :  
الجامع الكبير ، ط : المجمع العلمى العراقى ، بغداد .
- ٣ - ابن العربى " ت نحو ٤٢٣ هـ " :  
أحكام القرآن ، تحقيق : على محمد البجاوى ، ط : عيسى البابى الحلبى ، القاهرة ، د - ت .
- ٤ - ابن المدبر " ت نحو ٢٧٩ هـ " :  
الرسالة العذراء " ضمن كتاب رسائل البلغاء لمحمد كرد على ، ط : الثالثة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٦ م .
- ٥ - ابن النقيب " ت نحو ٦٩٨ هـ " :  
مقدمة تفسير ابن النقيب ، تحقيق : د. زكريا سعيد على ، ط : الأولى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د - ت .
- ٦ - ابن تيمية " ت نحو ٧٢٨ هـ " :  
مجموع الفتاوى ، تحقيق : عبد الرحيم بن قاسم وابنه محمد ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، د - ت .
- ٧ - ابن جنى " ت نحو ٣٩٢ هـ " :  
الخصائص ، ط : الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الذخائر ، العدد ١٤٧ ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .

- ٨- ابن سنان " ت نحو ٤٦٦ هـ " :
- سر الفصاحة ، ط: الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- ٩- ابن طباطبا " ت نحو ٣٢٢ هـ " :
- عيار الشعر ، تحقيق : د. محمد زغلول سلام ، ط : منشأة المعارف ، الإسكندرية ، د - ت .
- ١٠- ابن فارس " ت نحو ٣٩٥ هـ " :
- الصاحبي في فقه اللغة ، تحقيق : مصطفى الشريمي ، ط: مؤسسة بدران ، بيروت ، ١٩٦٣ م .
- ١١- ابن قتيبة " ت نحو ٢٧٦ هـ " :
- تأويل مشكل القرآن ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، ط : الثانية ، دار التراث ، القاهرة ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
- ١٢- ابن كثير " ت نحو ٧٨٤ هـ " :
- تفسير القرآن العظيم ، ط : الأولى ، مكتبة النور العلمية ، بيروت ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م .
- ١٣- أبو حيان " ت نحو ٧٤٥ هـ " :
- البحر المحيط ، ط : مطابع النصر الحديثة ، الرياض ، د - ت .
- ١٤- أبو عبيدة " ت نحو ٢١٠ هـ " :
- مجاز القرآن ، تحقيق : د. محمد فؤاد سزكين ، ط : الخانجي ، القاهرة ، د - ت .
- ١٥- أبو هلال العسكري " ت نحو ٣٩٥ هـ " :
- الصناعتين : الكتابة والشعر ، تحقيق : د. مفيد قميحة ، ط : الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

- ١٦- أحمد مصطفى المراغى :  
 علوم البلاغة ، ط: دار القلم ، بيروت ، د - ت .
- ١٧- الألوسى " ت نحو ١٢٧٠ هـ " :  
 روح المعانى ، ط : دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، ١٩٩٩ م .
- ١٨- الرازى " ت نحو ٦٠٦ هـ " :  
 نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز ، تحقيق : د. بكرى شيخ أمين ، ط : الأولى ،  
 دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٥ م .
- ١٩- الزركشى " ت نحو ٧٩٤ هـ " :  
 البرهان فى علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط : الثانية ،  
 مكتبة دار التراث ، القاهرة ، د - ت .
- ٢٠- الزمخشري " ت نحو ٥٣٨ هـ " :  
 الكشف ، ط : الثانية ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، ١٤٢١ هـ .
- ٢١- السكاكى " ت نحو ٦٢٦ هـ " :  
 مفتاح العلوم ، شرح نعيم زرزور ، ط : الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،  
 ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- ٢٢- السيرافى " ت نحو ٣٦٨ هـ " :  
 ضرورة الشعر ، تحقيق : د. رمضان عبد التواب ، ط : الأولى ، دار النهضة  
 العربية ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- ٢٣- السيوطى " ت نحو ٩١١ هـ " :  
 الإتقان فى علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط: المكتبة  
 العصرية ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

- ٢٤- الشوكاتى " ت نحو ١٢٥٠ هـ " :  
فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير ، ط : الثانية ، دار  
المعرفة ، بيروت ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .
- ٢٥- الطوفى " ت نحو ٧١٦ هـ " :  
الأكسير فى علم التفسير ، تحقيق : د. عبد القادر حسين ، ط : مكتبة الآداب ،  
القاهرة ، د - ت .
- ٢٦- الطيبى " ت نحو ٧٤٣ هـ " :  
التبيان فى علم المعانى والبديع والبيان ، تحقيق : د. هادى عطية مطر ، ط:  
الأولى ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ -  
١٩٨٧ م .
- ٢٧- العلوى : ت نحو ٧٤٥ هـ " :  
الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، تحقيق: د. عبد  
الحميد هنداوى ، ط : الأولى ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٣ هـ -  
٢٠٠٢ م .
- ٢٨- المرزبانى " ت نحو ٣٨٤ هـ " :  
الموشح فى مأخذ العلماء على الشعراء ، تحقيق : على محمد الجاوى ، ط :  
دار الفكر العربى ، القاهرة ، د - ت .
- ٢٩- تمام حسان " الدكتور " :  
البيان فى روائع غريب القرآن ، ط : الثانية ، عالم الكتب ، القاهرة ،  
١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .
- ٣٠- توفيق الفيل " الدكتور " :  
بلاغة التراكيب ، ط: مكتبة الآداب ، القاهرة ، د - ت .

- ٣١- خيرة حمر العين " الدكتوراة " :
- شعرية الانزياح : دراسة فى جماليات العدول ، ط : الأولى ، مؤسسة حماد للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع ، إربد ، ٢٠٠١ م .
- ٣٢- درويش الجندى " الدكتور " :
- علم المعانى ، ط : نهضة مصر ، القاهرة ، د - ت .
- ٣٣- عبد الحكيم راضى " الدكتور " :
- نظرية اللغة فى النقد العربى ، ط : الخانجى ، القاهرة ، د - ت .
- ٣٤- عبد العظيم المطعنى " الدكتور " :
- التفسير البلاغى للاستفهام فى القرآن الحكيم ، ط : الأولى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .
- ٣٥- عبد القاهر الجرجانى " ت نحو ٤٧١ هـ " :
- دلائل الإعجاز ، تحقيق : محمود شاكر ، ط : المدنى ، القاهرة ، د - ت .
- ٣٦- على آيت أوشان :
- السياق والنص الشعرى : من البنية إلى القراءة ، ط : الأولى ، مطبعة النجاح ، الدار البيضاء ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .
- ٣٧- محمد عبد المطب " الدكتور " :
- البلاغة العربية قراءة أخرى ، ط: الأولى ، لونجمان ، القاهرة ، ١٩٩٧ م .
- ٣٨- محمد عبد المطب " الدكتور " :
- البلاغة والأسلوبية ، ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٤ م .
- ٣٩- محمد على الصابونى :
- صفوة التفاسير، ط:الخامسة ،دار القرآن الكريم،بيروت ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ م .

٤٠ - محمد محمد أبو موسى " الدكتور " :

دلالات التراكيب ، ط: الثانية ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.

٤١ - منير سلطان " الدكتور " :

بلاغة الكلمة والجملة والجمل ، ط : منشأة المعارف ، الإسكندرية ، د-ت .

\*\*\*\*\*